الصَّوْم

□ الصــوم □

الصوم صفة وعادة السَّادات ، وعادة السَّادات سادات العادات ، وشيم الأحرار أحرار الشيم ..

أما تسمع قول الله عز وجل : إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به .

وترك الطعام سحاب ، وإذا قلَّ الأكل مطر القلب الحكمة ، ورسول الله - ﷺ - يقول : « أقصر من جشائك ، فإن أكثر الناس شبعًا في الدنيا ، أكثرهم جوعًا في الآخرة »(١) .. والجزاء من جنس العمل ..

ومن قوي على بطنه ، قوي على دينه ، فعليك بالصوم .

نصومُ فإنَّ الصومَ من عِلم التُّقَى وإنَّ طويل الجوعِ يومًا سيشبعُ

هؤلاء الذين تشققت أشداقهم جوعًا في الدنيا ، كيف يكون جزاؤهم من جنس عملهم ، وقد قلصت شفاههم عن الأشربة ، وضمرت بطونهم ؟!.

قال تعالى : ﴿كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ [الحاقة : ٢٤] .

قال مجاهد وغيره : نزلت في الصائمين .

قال يعقوب بن يوسف الحنفي : بلغنا أن الله تعالى يقول لأوليائه يوم القيامة : يا أوليائي طالما نظرت إليكم في الدنيا ، وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة ، وغارت أعينكم ، وجفّت بطونكم ، كونوا اليوم في نعيمكم ، وتعاطوا الكأس فيما بينكم .

---

(١) حديث حسن أخرجه الحاكم في المستدرك ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ١١٩٠ ، والسلسلة الصحيحة رقم ٣٤٢ ، وأخرجه ابن ماجة عن ابن عمر مرفوعًا ، وذكر نحوه ابن المبارك في الزهد عن أيوب بن عثمان .

وعن أنس موقوفًا : وإن لله مائدة لم تر مثلها عين ، ولم تسمع أذن ، ولا خطر على قلب بشر لا يقعد عليها إلا الصائمون .

وعن بعض السلف قال : بلغنا أنه يوضع للصوّام مائدة يأكلون عليها ، والناس في الحساب فيقولون : يا رب نُحاسب وهم يأكلون ، فيقال : إنهم طالما صاموا وأفطرتم ، وقاموا ونمتم .

رأى بعضهم بشر بن الحارث في المنام وبين يديه مائدة، وهو يأكل ويقال له : كُل يا من لم يأكل ، واشرب يا من لم يشرب .

قد كُسي حلة البهاء وطافتْ بأباريق حوله الخدام
ثم حلي وقيل يا قارئ ارق فلعمري لقد براك الصيامُ[1]

والجزاء من جنس العمل .

أما جزاء عطشهم :

فعن سهل بن سعد ، عن رسول الله - ﷺ - « في الجنة باب يدعى الريَّان ، يُدعى له الصائمون ، فمن كان من الصائمين دخله ، ومن دخله لا يظمأ أبدًا »[2] .

وعنه - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ : « إن في الجنة بابًا يقال له الريان : يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل منه أحد غيرهم ، يقال : أين الصائمون ؟ فيقومون ، فيدخلون منه ، فإذا دخلوا ، أغلق فلم يدخل منه أحد »[3] .

وعنه : « للصائمين باب في الجنة يقال له الريان ، لا يدخل فيه أحد

(١) لطائف الإشارات ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٢) رواه الترمذي وابن ماجة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٤١١٧ ، ورواه النسائي .

(٣) رواه البخاري ومسلم ، وأحمد في مسنده .

غيرهم ، فإذا دخل آخرهم أغلق ، من دخل فيه شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبدًا »[(١)] .

وعنه : « في الجنة ثمانية أبواب ، فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون »[(٢)] .

فتدبر يا أخي ..

مسمى الباب : « الريان » من الري ، والري ضد الظمأ ، مسمى الباب يبعث على الري ، وأول الغيث قطرة ، إن ذكر الماء في الصحراء ، يقلل من شدة العطش ، فما ظنك بالداخل ..؟!.

وفي حديث عبد الرحمن بن سمُرة ، عن النبي ﷺ في منامه الطويل قال : « ورأيت رجلًا من أمتي يلهث عطشًا ، كلما ورد حوضًا مُنِع منه ، فجاءه صيامُ رمضان فسقاه وأرواه »[(٣)] .

ري الدنيا عطش ، والري ري الآخرة ، والجزاء من جنس العمل .

أما خلوف فم الصائم :

فعن أبي هريرة ، وأبي سعيد معًا ، عن رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى يقول : إن الصوم لي ، وأنا أجزي به ، إن للصائم فرحتين ، إذا أفطر فرح ، وإذا لقي الله تعالى فجزاه فرح ، والذي نفس محمدٍ بيده ، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك »[(٤)] .

وفي حديث رسول الله ﷺ من قول يحيى بن زكريا : « وآمركم بالصيام ، ومثل ذلك كمثل رجل معه صرة مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك ،

---

(١) رواه النسائي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٠٦٠ .

(٢) رواه البخاري ومسلم ، صحيح الجامع ٤١١٨ .

(٣) أخرجه الطبراني وغيره .

(٤) رواه أحمد ومسلم والنسائي .

وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك »[(١)] .

قال مكحول : يروح أهل الجنة برائحة فيقولون : ربنا ، ما وجدنا ريحًا منذ دخلنا أطيب من هذه الريح ، فيقال : هذه رائحة أفواه الصوّام .

عافهم النتن في الدنيا لتغير ونتن أفواههم ، فيطيب طيب الجنة من رائحة أفواههم ..

فكل شيء ناقص في عرف الناس في الدنيا ، إذا انتسب إلى طاعة الله ورضاه فهو الكامل في الحقيقة .

فخلوف أفواه الصائمين لهو أطيب من ريح المسك ، وعري المحرمين لزيارة بيته أجمل من لباس الحلل ، ونوح المذنبين على أنفسهم من خشيته ، أفضل من تسبيح المدلين ، وانكسار المخبتين لعظمته هو الجبر ، وذُلّ الخائفين من سطوته هو العزّ ، تهتك المحبين في محبته أحسن من الستر ، بذل النفوس للقتل في سبيله هو الحياة ، جوع الصائمين لأجله هو الشبع ، عطشهم في طلب مرضاته هو الرِّيُّ ، نَصَب المجتهدين في خدمته هو الراحة .

ذُلّ الفتى في الحب مكرمةٌ وخضوعه لحبيبه شرف[(٢)]

وفي طيب ريح خلوف الصائم عند الله عز وجل معنى : أن الصيام لما كان سرًّا بين العبد وبين ربه في الدنيا ، أظهره الله في الآخرة علانيةً للخلق ؛ ليشتهر بذلك أهل الصيام ، ويعرفون بصيامهم بين الناس ، جزاءً لإخفائهم صيامهم في الدنيا .

والجزاء من جنس العمل .

رائحة مستكرهة في مشامّ الناس في الدنيا ، لكنها طيّبة عند الله ..

---

(١) رواه الترمذي وأحمد وهو صحيح .

(٢) لطائف المعارف ١٧١ - ١٧٢ .

وقد تفوح رائحة الصيام في الدنيا ، وتستنشق قبل الآخرة ، وهما نوعان :

أحدهما : ما يدرك بالحواسّ الظاهرة .. فهذا عبد الله بن غالب الحداني ، أبو قريش العابد ، وكان من العباد المجتهدين في الصيام والقيام ، لما دُفن كان يفوح من تراب قبره رائحة المسك ، فَرُئِيَ في المنام ، فسئل عن تلك الرائحة التي توجد من قبره .

فقال : تلك رائحة الظمأ والسهر .

والنوع الثاني : ما تستنشقه الأرواح والقلوب ، فيوجب ذلك للصائمين المخلصين المودة والمحبة في قلوب المؤمنين .

لما كانت معاملة المخلصين بصيامهم لمولاهم سرًّا بينه وبينهم ، أظهر الله سرَّهم لعباده فصار علانيةً ، فصار هذا التجلي والإظهار جزاء ذلك الصوم والإسرار ، فما أسرَّ أحد سريرة ، إلا ألبسه الله رداءها علانيةً..

تذلُّل أرباب الهوى في الهوى عزٌّ وفقرهمُ نحو الحبيبِ هو الكنزُ
وسِتْرهمُ فيه السرائر شهـرةُ وغير تلاف النفسِ فيه هو العجزُ(١)

فمن ترك لله في الدنيا طعامًا وشرابًا وشهوة مدة يسيرة ، عوضه الله عنده طعامًا وشرابًا لا ينفد ، وأزواجًا لا يمتْن أبدًا ، فشهر رمضان فيه يزوج الصائمون .

قال الحسن : تقول الحوراء لولي الله وهو يتكىء معها على نهر العسل تعاطيه الكأس : إن الله نظر إليك في يوم صائف بعيد ما بين الطرفين ، وأنت في ظمإ هاجرة من جهد العطش فباهى بك الملائكة ، وقال : انظروا إلى عبدي ترك زوجته، وشهوته، ولذته، وطعامه، وشرابه؛ من أجلي؛ رغبة فيما عندي، اشهدوا أني قد غفرت له ، فغفر لك يومئذ وزوجنيك(٢) .

---

(١) لطائف المعارف ١٧٠ - ١٧١ .
(٢) لطائف المعارف ١٦٧ .

من صام عن شهوته في الدنيا ، أدركها غدًا في الجنة، ومن صام عما سوى الله ، فعيده يوم لقائه .. ﴿ **من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت** ﴾ [العنكبوت : ٥].

وقد صُمتُ عن لذاتِ دهريَ كلها ويوم لقاكمْ ذاك فطر صيامي

بالله ، انظر كيف يكون الجزاء من جنس العمل .. صورة حسية تُشاهد وتُعاين : « **الصيام والقرآن يشفعانِ للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي رب إني منعته الطعام والشهوات بالنهار ، فشفعني فيه ، يقول القرآن : رب منعته النوم بالليل ، فشفعني فيه ، فيشفعان** »[1] .

فطوبى ..

لمن جوّع نفسه ليوم الشبع الأكبر ..

طوبى ..

لمن أظمأ نفسه ، ليوم الرّيّ الكامل ..

طوبى ..

لمن ترك شهوات حياة عاجلة لموعد غيب لم يره ..

متى اشتد عطشك إلى ما تهوى ، فابسط أنامل الرجاء إلى من عنده الرّيّ الكامل .

وقل : قد عيلَ صبر الطبع في سنيه العجاف ، فعجلْ لي العامَ الذي فيه أُغاثُ وأُعْصِرُ ..

* * *

(١) رواه أحمد في مسنده ، والطبراني في الكبير ، والحاكم في مستدركه ، والبيهقي في شعب الإيمان ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٧٧٦ .